Coptology

القيامة

رجاؤنا الأعظم

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

رسالة عيد القيامة ٢٠١٩

القيامة رجاؤنا الأعظم

المسيحُ قام. حقًا قام. هذا هو رجاؤنا الأعظم.

المسيحُ لقبٌ، وليس اسمًا شخصيًا. الاسم الشخصي للرب هو يسوع، أي "يهوه مخلِّص" حسب الأصل العبراني. أما المسيح، فهو لقب الملك في العهد القديم، إذ كان يسمى "مسيح الرب". وقد حمل الرب هذا اللقب "ملك اليهود" معلَّقًا على الصليب يوم صُلِبَ على الجلجثة.

في العبرانيين ٩: ١٢ قدَّم المسيح دمه الخاص "بالروح الأزلي"، وحسب بعض المخطوطات اليونانية "بالروح القدس"، فقد صُلِبَ الممسوح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن، واعتبر الربُّ موتَه المحيي معموديةً أو صبغةً، وهي معمودية الدم (مر ١٠: ٣٨ – ٣٩)، وبالمناسبة فإنني لست أدري سر ترجمة "فان ديك" لكلمة "معمودية" في كلام الرب نفسه بكلمة "صبغة"، لأنه وإن كانت الكلمة لغويًا تعني "صبغة"، إلا أن استبدالها بالاسم "معمودية" له دلالة غير خافية، وترجمة غريبة عن تدبير العهد الجديد.

صبغة يسوع هي دمه الذي دخل به السماء لكي "يظهر أمام وجه الله لأجلنا" (عب ٩: ٢٤) كوسيط وشفيع ورأس الجسد الكنيسة، جسده الواحد.

أمامنا رحلة بدأت بدخول أورشليم بخورس الشعب "هوشعنا"، أي خلِّصنا. وكانت بداية استعلان الملك، ولكن ليس بصولجان وتاج، بل بمسامير وحربة وتاج شوكٍ لكي يملك من على الصليب، فقد كانت الخطية تملك جالسةً على عرشٍ اسمه الموت (رو ٥: ٢٠)، ولكن جاء الربُّ وهدم ذلك العرش.

"قدوسٌ الذي لا يموت". ولأن اللاهوت لا يموت، فقد قابل الربُّ موتَ الإنسانية، لا موتَه الخاص، في الإنسانية القابلة للموت. وعندما تقابَل الحياةُ التي لا تموت مع الحياة القابلة للموت، ضاع سلطان الموت وسطوته "كما ملكت الخطية في الموت، هكذا نملك بالنعمة والحق (البر) للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١).

إذن فقد سقط الموتُ على الجلجثة. وكانت كلمات الرب المصلوب: "يا أبتاه في يديك استودع روحي" هي إعلانُ نهاية الموت. وجاء وعدُ اللِّصِ بالفردوس: "اليوم تكون معي في الفردوس" وعدًا ممن يملك حياته "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضًا" (يو ١٠: ١٨). وقبل هذه الكلمات: "ليس أحدٌ يأخذها مني، بل أنا أضعها من ذاتي" (يو ١٠: ١٧). فلم يكن الرب ليموتَ ضحيةَ ظروفٍ فُرِضَت عليه، بل جاء حرًا وصُلِبَ حرًا، ولا تزال كل الكنائس الأرثوذكسية رغم تنوعها تؤكد ذلك في تراتيل وصلوات اسبوع البصخة. فقد "تألم وصلب بإرادته"؛ لأن تقدمة المحبة لا تكون فرضًا وقسرًا وإرغامًا، حيث لا محبة حقيقية ولا طاعة حقيقية بدون حرية الإرادة وحرية الاختيار.

وفي المشورة الإلهية –حسب التدبير– قال الرب للآب: "هنذا أجئُ ... مكتوبٌ عني لأفعل إرادتك يا الله" (عب ١٠: ٧)، ومن يعمل إرادة الآب هو واحدٌ مع الآب (يو ١٠: ٣٠).

"يسوع المسيح إلهنا الحقيقي الذي قَبِلَ الآلام بإرادته وصُلِبَ على الصليب لأجلنا ..." (البركة التي تقال في صلوات البصخة المقدسة)، كلماتٌ قاطعة، فالذي صُلِبَ هو الإله الحقيقي؛ لأن الله وحده هو القادر أن يهدمَ صرحَ الموت وعرشه.

ولكن، بنشر الكراهية والأحقاد والتشيُّع، يدخل الموتُ الذي ماتَ إلى حياة الكنيسة. كم من وقت ومال وورق وحبر وجهد ضاع في الهجوم على أناسٍ أبرياء؟

هل تناول يهوذا؟

كانت عظةُ ذهبي الفم المعروفة في دلال اسبوع الآلام تقول إنه تناول، ولكن هذه العظة حُذِفَت في الطبعات الحديثة، إرضاءً وتذلفًا لرأيٍ منفرد.

ها نحن نعبث بتراثنا الكنسي دون إدراك لكي ننشر فكرةً أو نروِّجُ رأيًا.

واستمراراً لوهم المعرفة قرأنا مَن تهوَّر وكتب بيده أن المسيح لم يقدم جسده ودمه في العلية، مع أن طرح باكر الخميس من صلوات البصخة يؤكد "أنت هو فصحنا يا يسوع المسيح ... لأن الإله الكلمة صار لكم فصحًا ... الفصح الجديد هو ابن الله الذي خلَّص العالم من الفساد".

لا يمكن أن يكون للمسيح رمزٌ يدل عليه عندما يقول: "خذوا كلوا هذا هو جسدي". لقد جاء الرب إلينا كطبيب. لأنه لم يأتِ إلينا كمرضى فقط، بل كموتى. بهذا لم يشفِنا نحن المرضى فحسب، بل أمامنا نحن الأموات الذين ابتلعنا الموت ففكنا من رباطاته. لهذا مات المسيح عنا لكي نحيا معه إلى الأبد. لأنه إن لم يكن الرب قد شارك البشرية في آلامها، فكيف يخلِّص الإنسان؟ لأن الموت سقط تحت أقدام المسيح وسُبِيَ مضطربًا" (القديس أثناسيوس – عظة الساعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة).

"أبطلت عِزَّ الموتِ يا سيدنا بصليبك يا ذا القدرة المنيعة" (طرح الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة).

"يسوع هو الإنسان الجديد الذي قتل الموت وأبطل عزته وكسر شوكته المرة ... والعدو الأخير الذي هو الشيطان قيَّده بالقيود والسلاسل" (طرح الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة).

ولكننا رأينا كيف يفرش الشيطان لنفسه طريقًا في داخل الكنيسة وبواسطة أبناء وبنات الكنيسة. اتهاماتٌ بلا دليل: هرطقة الأنبا أبيفانيوس هي شركة البشر في الفداء.

تلك هلوسةٌ لا يقبلها عاقل لأن بولس الرسول هو القائل: "مع المسيح صُلِبتُ" (رو ٦: ١ – ٨) عن الصليب والموت والدفن والقيامة مع الرب في المعمودية، في "صبغة الدم".

وبذات الأسلوب الاستنكاري يكتب صاحب الرأي المنفرد: "لما صُلِبَ الرب لم يكن بولس قد آمن". هذا وجهٌ واحد، ولكن الوجه المقابل الحقيقي هو أنه صُلِبَ لأن "الحياة هي المسيح" (فيلبي ١: ٢١). والمسيح يحيا في بولس لأن بولس صُلِبَ معه، وهذه هي نعمة الله التي تعلو على كل شريعة (غلا ٢: ١٨)، فلا شركة حقيقية بين الله والإنسان إلا بالصليب وبالقيامة (غلا ٣: ٢١).

في موكب الانتصار يتقدمنا الصليب دائمًا عندما ينضم جديدٌ إلى جسد الرب في المعمودية، ويتقدم أيقونة القيامة التي صارت عند الشعب "زفة"، فضاع المعنى والهدف، وإنما هو الموكب الملوكي الذي نراه في باكر أحد الشعانين في الاحتفال أمام أيقونات الكنيسة.

تُرى، هل تهزم الثقافة الشعبية الإيمان؟

نقطع بأنه طالما لدينا تعليمٌ ليتورجي يقال ويعاد، فهو قادر أن يعيد مجد الإيمان:

"لك القوة والبركة والعزة يا عمانوئيل إلهنا وملكنا".

عثرة الصليب

الكلمة اليونانية لا تعني فقط عثرة، بل فضيحة skandalo. كان اليهود يطلبون "آيةً" أو معجزةً، ولكن صار الصليب والقيامة معًا هما المعجزة: "آية يونان النبي" حسب قوال الرب (متى ١٢: ٢٩).

يسوع الملك صُلِب. عند حكماء اليونان هذه "غباوة". لم يأتِ يسوع بمجد جبل طابور، ولكن جاء ليجوز "وادي ظل الموت"، أعلن يسوع محبة الآب ورحمته في

خروج جديد، ثم في أورشليم (لو ٩: ٣١). كان بطرس يوبخ الرب بسبب ما قاله عن موته وانتهره الرب: "أنت معثرةٌ لي ..." (مت ١٦: ٢٢ – ٢٣).

على الجلجثة ظهر مصير الإنسانية كله ليس في معارك بالسلاح، بل كما تحدى بولس الإنسان "أين الحكيم؟". حكماء هذا الدهر يطلبون القوة. وعثرة الإنسانية هي دائمًا انكسار القوة وانهيار السلطان الذي بغباء العداوة والحقد يريد أن يملك.

ومثلهم مثل اليونانيين، رفض اليهودُ الصَّلبَ والمصلوب، ولكن الصليب والمصلوب هو "قوة الله وحكمة الله" (١ كور ١: ٢٤).

لا يزال الصليب يتحدى قسوة الإنسان، تلك التي تجعل كل قاسٍ يحتقر الصليب ويطعن المحبة بكل آلةٍ حادةٍ ويحتقر الرحمة.

ألاحظ أن بعض الأخوة يجدون لذةً وسعادةً في نعتي بلقب المحروم ولقب المهرطق، ولكني أرى كلا اللقبين دلالةً بالغةً على الجهل وعلى العمى الروحي وعلى الانكفاء، بل على الغرق في وحل الكبرياء والحكم على مَن لا يعرفون. تلك بدورها هي فضيحة كلِّ كاتبٍ ومتكلم تعرَّى تمامًا من لباس المحبة وترك الصليب، ومن يترك الصليب يفقد القيامة. تلك الآفة التي تأكل الكنيسة من الداخل، بثُّ الكراهية والخوف والتحذير الدائم من الكاثوليك والبروتستانت، كأن الكراهية والخوف هي رسالة الإنجيل، وكأن مشاركة هؤلاء ذنبٌ عظيم، ولم يدرك هؤلاء أن جهات كثيرة تحاول محاصرة الكنيسة القبطية وعزلها عن العالم. ولم يدرك هؤلاء أيضًا أن حضورنا لديهم لا يعني الانتماء، ومشاركتنا في أي نشاط عالمي لا يعني أننا تحولنا عن الأرثوذكسية.

لازال الصليب "عثرةً"، بل "فضيحةً" لكل مَن يجاهر به وهو مشحونٌ بالغضب والانتقام. ولكن الصليب هو استعلان الخلاص لكل العالم.

يا من تصـــلب غيرك في أحاديث الميكروفون، وفي مقالات الجهل، فلتعلم أننا وأنت، كلنا شـركاء المصـلوب الذي فضـح كذب القوة وعجزها ومرحبًا بكل اتهام فهو كاشف لجهل القائل.

القيامة شجاعة آباء الإسقيط

يفرح آباء الإسـقيط بالشـتائم والإهانات لأنهم صُـلِبوا ونالوا عربون الحياة الآتية. قاموا حسـب العربون، فلم يقبل أرسـانيوس أن يرث لأنه مات. وترك واحدٌ ثوبه ليسـرقه لصٌ لأنه من لُبَّاس الصليب. ولبس أنبا مقار الروح القدس، فأشرق بنور يسوع.

كان أسـتاذنا د. سـامي جبرة يعتقد أن العطور التي ورد ذكرها في كتاب طبخ الميرون هي أحد المكونات المسـتخدمة في عملية التحنيط في مصـر، ولذلك لا يفسـد زيت الميرون. لذا عندما نسـمع في التسـليم الكنسـي أن الميرون احتوى خميرة زيت دفن يسـوع، فنحن إذن ننال مسحة الموت والقيامة، فقد أقام الروح القدس جسـد يسـوع (رو ٨: ١١)، وثباتنا هو الصلب والقيامة في المسحة الملوكية.

يرافقنا رشـم الصـليب. كان القمص ميخائيل إبراهيم هو أكثر مَن عرفتُ من البشر في رشـم الصـليب. لو قلت مائة مرة في اليوم الواحد، لكان هذا العدد تقريبي. لقد عاش بالصليب فدخل قوة القيامة.

أعرفُ رجلا نالته العلل والأوجاع، وكان يعجز عن أن يقف، فكان يقول: "يا قوة المصلوب الحي يسوع ربي". هذه خبرةٌ وتذوُّق.

العربون

الإيمان اختبارٌ ورؤية. هو اختبارٌ ضد ما هو محسوس، هو "حِس" بالحياة الأبدية حيث يقف الفكر عاجزاً عن التصور، ويخفِق الخيال أمام حقيقة سريان حياة جديدة فينا

هي يسوع الحي. ولذلك يغمر الحزن قلبي أمام كلمات التراتيل المعاصرة التي نُظمت بروح انفصال المسيحي عن يسوع.

كان الأب متى المسكين يقول: "تلامس مع الرب"، لمسة الحياة التي تأتي منه مثل لمسة نازفة الدم التي لمست هُدبَ ثوبه، وهُدبُ ثوبه ربما كان "الشال" الذي كان كل يهودي يضعه حول رقبته لكي يغطي رأسه عندما يصلي ثلاث مرات في النهار. نحن نلمس يسوع فينا في طوفان المحبة التي تغفر، وفي الاستهانة بالمرض والموت، فلا شيء يقف بيني وبينك يا يسوع، أنت الحياة، ونحن نذوق الحياة في السر المجيد، وهكذا نرتل: "بموتك وبقيامتك وصعودك إلى السموات يا رب نبشر"؛ لأن سر محبتك يعطى لنا طعاماً، طعام عدم الموت كما شهد أغناطيوس الأنطاكي.

عندما تضربنا مخاوف المرض والموت، نرتل مع يسوع: "أخبر باسمك اخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك" (عب ٢: ١١). الرب قام رغم حزان فقدان المنازل وتدمير الكنائس وحرقها وقتل الأبرياء. كان المؤمنون الروس يرتلون عندما كان النظام الشيوعي ينسف الكنائس في الحقبة السابقة: "لقد هدموا الكنائس، أما نحن فكنيسة الله الحي لأن يسوع قام من الأموات". وقد تقابلت مع واحدٍ من هؤلاء المعترفين بعد أن طُرد وجاء إلى لندن، وقال لي: "كنت أرتل (المسيح قام من الأموات وبالموت داس الموت)، عندما كان الجوع يقرص أمعائي الخاوية، حيث كانوا يعطوننا نصف رغيف في اليوم في درجة حرارة ٣٠ تحت الصفر وأحيانًا ٤٠ تحت الصفر. يسوع قام وفرحي بالقيامة جعلني أصبر على الجوع. القيامة لا تجعلنا نعبر في انتظار الفرج وتحسن الظروف، وإنما تجعلنا نرى المصير الأبدي المجيد فنفرح بيسوع وهو مصدر الفرح الذي أدهش الحراس".

فإن تحسنت أحوالنا أو تراجع ما لدينا من علاقات، فالمسيح أقامنا فيه "والعشم" دائمًا هو في يسوع وليس في البشر ولا في النظام مهما كان هذا أو أولئك.

القيامة هي حريتنا من كل الأنظمة مهما كان نوعها، وتلك هي حرية من ذاق الخلود بالروح القدس واتحد بيسوع وأدرك استعلان أبوة الآب وعاش بنعمة التبني ابنًا حرًا

من كل أشكال الاستعباد.

الخوف هو سجن العقل الذي أُبيد مع القيامة.

المصير المجهول هو سبب عبودية أي إنسان، أما نحن فنعيش الحرية لأن مصيرنا معروفٌ ومعلَنٌ، وهو: "عن يمين الآب السماوي"، ولذلك القيامة هي حدث دائم في حياتنا.

الرب قام وهدم كل خوف وبدد سلطان الجحيم.

الرب قام وهذا هو رجاء الحياة الأبدية رغم أتعاب الحياة الترابية.

يسر أسرة الموقع أن تتقدم بالتهنئة لقداسة البابا تواضروس الثاني، وكل الإكليروس وشعبنا في كل مدينة وقرية، ولمصر الوطن الذي يغسل أوجاع الماضي بدم رجال أوفياء. رحم الله من استشهد، فالشهادة هي طريق الحياة الحقيقية.

كل عام وأنتم بخير

دكتور

جورج حبيب بباوي